مستقبل البشرية

(رؤية إسلامية)

د. كمال يوسف جميل



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : مستقبل البشرية (رؤية إسلامية)

المـــــــــــؤلف : د. كمال يوسف جميل

رقـــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١١

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميـدان حليـم خلـف بنـك فيصـل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com

الإهـداء

إلي كل من يهمه مستقبل البشرية

المقدمة

مع بداية الألفية الثالثة وصل ضغط تراكمات القرون الماضية حد الانفجار بأحداث سبتمبر وما تلاها من حروب وصفها بعض الغربيين بأنها صليبية حيناً وضد أعداء الحرية حيناً آخر ومحاربة للإرهاب وحرب حضارات ، ... ، وغيرها من المسميات ، بما فيها تحرير الشعوب العربية والإسلامية.. . وكان الثمن غالياً والعواقب وخيمة علي الجميع .

فشل العرب والمسلمون في التصدي لأسباب الخلاف والتخلف والعقم الفكري الذي أقعدهم عن مسايرة التقدم الذي هو من أوضح سمات المسيرة البشرية . ويمكن تلمس أعراض هذا الفشل في كل جوانب الفكر والحياة وأنظمة الحكم طوال القرون الماضية وحتى الآن .

فشلت الأنظمة العربية في التصدي للوجود الإسرائيلي ومقاومة سياساته التوسعية والاستيطانية ، بما يشبه الاستسلام الكامل . عندها تحولت هذه المهام للشعوب والأفراد بحكم الواقع والأمر الشرعى بالجهاد في حالة الغزو الخارجي واحتلال أرض المسلمين وإخراج أهلها ، ضد المعتدي ــ إسرائيل وحلفائها ـــ وأضاف بعضهم أنظمة الحكم العربية ضحوا بأموالهم وأنفسهم بفدائية عالية في ظروف شديدة القسوة والتعقيد . ومهما اختلف المؤيدون والمعارضون ، فقد خلقوا واقعا جديداً يجب التعامل معه .

هبَّ الحلف اليهودي المسيحي الغربي للدفاع عن مُكتسباته ومغصوباته ، وأصبحت الأنظمة والشعوب العربية والإسلامية غرضاً مُشرعا لغضبته . وإذا توفق الغرب في تبرير غزوه لأفغانستان بالتعتيم على أسباب أحداث سبتمبر ، فقد تعذر ذلك في حالة العراق ، فبعد اتخاذ قرار الحرب لأمن إسرائيل وأن صدام يدفع ٢٥٠٠٠ دولار لأُسر مقاتلين فلسطينيين ، ظل بوش يتخبط في اختلاق الأسباب الكاذبة ، فأعلنها حرب صليبية وهو يعلم أنها حرب يهودية .

كل ذلك أدي لفساد احتفال الحلف بإحكام السيطرة علي العالم ، وقول بعض مُنظريها بنهاية التاريخ والانتصار النهائي في صراع الحضارات .

لقد تأكد بطلان هذه المقولات ، بعد الانتكاسة والتراجع عن مكتسبات وقيم كانت من أميز إيجابيات الحضارة التي أقامها الحلف اليهودى المسيحي الغربي ، ليواجه حقيقة استحالة استمرار هذا النظام علي حساب ظلم وقهر وتهميش الآخرين ، وسيكون ذلك درساً ومنعطفاً في المسيرة الإنسانية .

يهمنا وكل الناس ما يجري علي كوكبنا الأرض ، والمستقبل الذي نسعي له ، وأن يكون لنا كبشر وكمسلمين رأي قيادي وموقف إيجابي .

نحاول جعل وسيلتنا الالتزام العقلانى الصادق الحر .. ونأمل في أهل السلطة والعلماء والمفكرين سعة الصدر للحوار السلمي الهادف في هذه الأوقات العصيبة .

اعتمادنا بعد الله سبحانه وتعالي علي القرآن لمصداقيته وعقلانيته وعند المسلمين إعجازه وصلاحيته وإلزاميته ، والرسول الأمين خير من فصله وفسره .

سنحاول تحري الدقة في المعلومات ، والتعرف على خصائص المسيرة البشرية والقوانين التى تحكمها ، وقد نسعى لشق طرق حديثة أو تعبيد طرق وعرة ، وقد نخوض في مسائل خلافية عن : الخلافة الراشدة وأنظمة الحكم بعدها ؟ العلمانية والديموقراطية؟ هل الإسلام عقبة في طريق التقدم والتحديث ؟ أم أن المسلمين عقبة في طريق الإسلام؟ من يقود من في الحلف اليهودي المسيحي الغربي و إلي أين ؟ أين نحن ؟ وما هو المستقبل؟ وكيف السبيل؟ كلها مناطق مُحرمة، ومُحتكرة لحكام وعلماء المسلمين الرسميين، ويرى البعض أن الفكر والتفكر أصبح فرض عين فى هذه الأوقات العصيبة .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾

كمال يوسف جميل

٢٠٠٥/١/١

البدايات

لا نســـتطيع أن نبدأ من قوله تعالي ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب] . ولا من ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف] . لكن نبدأ من :

إعلان المشروع الإنساني :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة].

و مع (جاعل في الأرض خليفة) إلا أن حكمت الله اقتضـت أن تبدأ الخطوات الأولي للمسـيرة الإنسـانية من الجنة : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الأعراف:١٩] وما بعدها عن وسـوسـة الشـــيطان وما ترتب علي ذلك حتى هبوطهم الأرض ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف:٢٤] .

مما تقدم وبصريح القرآن :

أن الله : يفعل ما يشاء ، يخلق ما يشاء ، يحكم ما يريد ، لطيف لما يشاء ...

الإنســان : حامل للأمانة وخليفة ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ تكريم عام ؛ وتكريم خاص : ﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ؛ في أحسن تقويم ، لم نجد له عزما ، خُلق ضعيفا ، هلوعا ، من عجل ، .. .

الملائكة : تتلقى بعض المعلومات وتنفذ كل التعليمات .

الشيطان: شياطين الجن والإنس ؛ لكن : ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء:٧٦].

الخلاف : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس] .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود].

لذلك يمكن القول بأن الخلاف صفة لاصقة ودائمة بالإنسان ، كما أن شكل ومستوى الخلاف والتعامل معه من أكثر العوامل تأثيرا فى حياة الفرد والجماعة والمسيرة الإنسانية .



المرحلة الأولى

البدايات علي الأرض:

نهاية حزينة لفترة إعدادية سعيدة ، تمت حسب المرسوم لها ، بغلاف من العقلانية والسببية وحرية الاختيار . هكذا واجهت الأسرة الصغيرة التي بدأت التكاثر فى ظروف حياة شديدة القسوة ، لكنها بدأت في التأقلم علي الواقع الجديد واكتساب المعارف والخبرات . ولا بد أن الاختلاف والخلاف كان شديدا بين الوالدين والأبناء للتباين الكبير في ظروف ومعارف ونشأة كل منهما ، والبدائية في كل شي بالنسبة للأبناء مع الاندفاع والحسد ، إضافة لجهود إبليس الذي نذر حياته لمكايدة عدوه . هذا بعض مما يفسر ما حدث بين إبني آدم :

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة].

من بداية الخلافات الدامية للوجود الإنساني علي الأرض مصدقاً لما كانت تحاذره الملائكة ، تظهر الحاجة الملحة للأمن والسلام كمحور أساسي لمواصلة الحياة على الأرض .

محور المعجزة والمرجعية الدينية : تقديم وقبول ورفض القربان ، وهو مادي بالكامل أو شبه ذلك ، ويعتمد علي الحواس ـ خاصة البصر ـ .

محور العلم والتعلم : ــ من دفن الغراب ــ وهو مادى بالكامل أو شبه ذلك ــ ويعتمد علي الحواس ـ خاصة البصر ـ .

ارتباط مستوي الدين والتدين مع مستوي العلم والتعلم .

العنف والقتل وسيلة وحيدة لفض الخلاف عند المعتدي ، والامتناع عنهما عند من يخاف الله . ومن هذه الحالات المتطرفة بدأت مسيرة الاعتدال وتقويم الصراط والتعايش السلمي ، مروراً ببني إسرائيل ـــ من قتل نفساً كأنما قتل الناس جميعا ـــ وفى رسالة عيسى (ص) بدأت استقامة الصراط واكتملت وتأصلت أسبابها ووسائلها فى الرسالة الخاتمة .

لم تظهر مسألة التوحيد كإشكالية في هذه الفترة . لكن يبدو أنه لازم التكاثر الإنساني المزيد من الخلافات والضغط علي الموارد مما أدي إلي نزوح البعض من المركز السكاني الأول ثم المراكز المستحدثة . ولقسوة ظروف الحياة وضعف التخاطب وانعدام التسجيل ، المرجح أنه لم يمض وقت طويل حتي نسي الناس ما نقلوه من الأجداد عن الله والجنة والسلوك الحسن ... .

مما تقدم يمكننا القول بسيادة العنف والقتل في فض الخلافات والتي يبدو أنها كثيراً ما تحدث ولأبسط الأسباب وأن مفهوم التدين هو الامتناع عن المقاومة والدفاع عن النفس ، مما يؤدى لسفك دماء المؤمنين .

وعلي ذلك يمكننا تصور الأوضاع والمعاملات في المرحلة التالية من حياة البشرية والتي شهدت بداية إرسال الرُسُل .



المرحلة الثانية

بعد آدم إلى ما قبل إبراهيم

من الأديان والعلم والتاريخ ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين] ، يمكن القول بثبات خصائص الإنسان العامة وأن الفوارق والاختلافات في الأشكال والأحجام والألوان ... مرجعه البيئة والمناخ وظروف الحياة ، ... .

دارت عجلة الحياة علي الأرض بغلبة الشر وتخاذل الخير كما توقعت الملائكة ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ . لكنه غاب عن الملائكة ما أعد الله للبشر ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ويبدو أن من ذلك إرسال الرُسُل والصالحين والحكماء .. ، للتعامل مع الخلافات ولتقويم الانحرافات والاستنباط والابتكار والتجديد .. لترقية حياة الإنسان في كل المجالات .

إرسال الرسل

وجد الإنسان نفسه جاهلاً ضعيفاً في هذا الكون الذي لا تنقضي عجائبه ، ومع اتساع معارفه وخبراته وما تبقي من أخبار عن النشأة والدين والأساطير .. ، ولغلبة الحواس ، ظهرت وتنامت عبادة المحسوسات والمجسمات وصاحب ذلك انحرافات سلوكية أخري . ويبدو أن الموجات الأولي من المرسلين بدأت في وقت مبكر من تكوين الجماعات الإنسانية .

أكد رُسل الله أجمعون بأنهم بشر كسائر الناس ، وكذلك أتباعهم ، وأن المعجزات من الله تعالى.

نوح عليه السلام

مما جاء عن نوح وقومه في سُور : هود ، الأنبياء ، يونس ، الأعراف، .. و نوح ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾ ..﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾.. ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾.. ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ .

وفي الشــعراء ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ ... ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾.

ســورة نوح ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ .

الشعراء ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠﴾ .

هود عليه السلام:

سورة هود ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾ .. ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾.

الأعراف ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

هود ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

صالح عليه السلام:

الأعراف ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

الشعراء ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

هود ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾.

الأعراف ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

عن المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة التي يبدو أنها امتدت لآلاف السنين ، صاحب فيها النمو السكاني تطور زراعي وصناعي وعمراني وفي تربية الحيوان وأشكال من الرسومات والرموز والحساب ويغلب علي مجتمعها الطبقية والظلم والفساد . لازم الكفر هذه المرحلة حتي بعد أن زود الله رُسُله بالمعجزات المادية دعماً للحجج العقلية ؛ سأل قوم هود عن بينة ؛ ولم ينتفع قوم صالح ببينة الناقة . واتسمت هذه المرحلة بالعنف واستحالة التعايش السلمي بين الأقلية المؤمنة والأكثرية الكافرة ، وتكون النهاية بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين .

الحالة العامة في هذه المرحلة :

إبراهيم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

و بارتفاع معدلات التقدم العلمي والتقني والاجتماعي بدأ الحوار وبدأت الإنسانية تتراجع بعض الشيء عن أسلوب القتل والقهر والعنف في فض الخلافات ، وبذلك وصل المشروع الإنساني المرحلة الثالثة في مسيرته والتي تبدأ برسول الله إبراهيم عليه السلام.



المرحلة الثالثة

هي الجزء الأول

من رسالة الإسلام الكبرى ، وتشمل الفترة من نبي الله إبراهيم إلي ما قبل الرسالة الخاتمة .

في مواطن الحضارات القديمة : ما بين النهرين ـ العراق ـ وسوريا الكبرى ومصر الفرعونية تطورت الرسـومات والرموز لأشـكال من الكتابة والتسـجيل علي الألواح الطينية والحجرية **والبردي .**

نُذكر بأن الإنسان خُلق في أحسن تقويم وأن التطور لا يلغ خصائصه ، إنما يضيف لمعارفه وخبراته ووسائله . وصاحب التدرج من الاعتماد شبه الكامل علي الحواس كوسيلة أساسية للمعرفة الدور المتعاظم للعقل والتفكر والحوار .

مع ظهور الممالك والمجتمعات المستقرة تواصلت الهجرات الفردية والجماعية لأسباب أمنية واقتصادية ودينية .. وتشكل الهجرة جانباً معتبراً من نشاط الأفراد والجماعات قيد الإهتمام في هذه المرحلة .

كنعان

ينتسب الكنعانيون إلي جدهم كنعان مثل القحطانيين والعدنانيين إلى جدودهم قحطان وعدنان وكلهم ساميون .

يُقال أن الكنعانيين هاجروا في موجات من منطقة العراق مع بدايات الألفية الثالثة قبل الميلاد بسبب الجفاف إلي أرض فلسطين . وكانوا أكثر تطوراً وحضارة من السكان . وعلي دراية بالكتابة . عملوا في الزراعة والصناعة والتجارة وأسسوا أهم المدن : يافا ، أريحا ، نابلس ويبوس ـ القدس ـ .

العبرانيون

يُقال أن الاســم مشــتق من أبرو أو لعبورهم نهر الأردن . وهم عشــيرة نبي الله إبراهيم الذي هاجر مثل أسلافه الكنعانيين وذلك في بدايات الألفية الثالثة قبل الميلاد .

اســتقر إســماعيل بن إبراهيم مع أمه هاجر بمكة عند البيت الحرام . في حين أقام إبراهيم مع زوجته سارة وابنه إسحاق بكنعان ـــ الأرض المقدسة ـــ حيث ولد لإسحاق ابنه يعقوب وهو إسرائيل ، وكانوا يتكلمون ويكتبون الكنعانية .

الفلسطينيون

وافدون من بحر إيجا . اســتقروا جنوبي كنعان واحتلوا الســاحل من غزة حتي جنوبي يافا . أكسبوا البلاد اسمها المعروف .

هجرة العبرانيين إلي مصر

سبق يوسف بن يعقوب أُسرته إلي مصر في وقت ضرب فيه الجفاف أرض كنعان .

في هذه المرحلة التي بدأت فيها تجربة التعايش الســلمي بين المؤمنين والكافرين ومازالت السـيطرة فيها للحواس والتعامل بالمعجزات المادية والتدخل الإلهي المباشــر ، أنقذ الله سـبحانه وتعالي بمعجزة الرؤُيا لنبيه يوسف شعب مصر من كارثة المجاعة المتوقعة .

و أخيراً اجتمع شمل الأسرة بمصر .

النزوح من مصر

كما هو متوقع يؤدي التباين الحاد بين ديانة التوحيد عند الإسرائيليين وعبادة الفرعون والآلهة الأخرى عند المصــريين إلى خلافات يزكى أوارها الطبع الشــكس لأخوان يوســف وأعقابهم . ويبدو أنه منذ تلك الفترة بدأت تتشكل الشخصية اليهودية وتكتسب سماتها المميزة .

تحول الخلاف إلى تعذيب واضطهاد بلغ مداه عند ولادة رسول الله موسى عليه السلام، الذى تمكن فى نهايات القرن الثانى عشر ق.م. من الهجرة بالإسرائيليين من مصر وعبر معهم البحر الأحمر . وبعد أربعين عاماً فى التيه فى الصحراء ، مات خلالها هارون وموسى ، وخلفهم يوشع بن نون الذى قاد الجيل الصحراوى وفتحوا بلاد كنعان عدا يبوس .

مملكة بنى إسرائيل

تولى القيادة بعد يوشع شمشون وبعده شاؤول ثم نبى الله داود عليه السلام حوالى ١٠٠٠ ق.م. . تمكن داود من فتح يبوس وسماها أورشليم ، واستمر فى بناء مملكته وبدأ بناء الهيكل ــ المعبد ــ . بعد موته خلفه ابنه سليمان حوالى ٩٦٠ ق.م. ؛ أكمل الهيكل وبنى القلاع وعبد الطرق .

انقسام المملكة

بعد وفاة رسول الله سليمان عليه السلام حوالى ٩٢٧ ق.م. انقسمت المملكة إلى قسمين :

الشمالى : استقلت به عشرة من قبائل بنى إسرائيل وسُميت مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة . عمل مواطنوها بالزراعة والتجارة لخصوبة أراضيها .

الجنوبى : مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم ؛ جبلية رعوية .

احتل الآشوريون إسرائيل ٧٢٠ ق.م. واكتفوا من يهوذا بدفع الجزية .

بعد احتلال بابل الكلدانية لنينوى الآشورية أصبحت المملكتان فى عداد الأملاك البابلية . وكانت نهاية يهوذا على يد نبوخذ نصر الكلدانى ٥٨٦ ق.م.؛ بعد استيلائه على أورشليم حطم الهيكل وأخذ ٥٠ ألف من علية القوم والعمال المهرة إلى بابل وهرب إلى مصر جزء آخر وتبقى المستضعفون .

الإمبراطورية الفارسية

احتل الفرس بابل ٥٣٩ ق.م. بقيادة ملكهم قورش الذى أعان من يريد العودة من اليهود إلى بلادهم . قاموا بإعادة بناء الهيكل إلا أنه لم تكن لهم سيادة على البلاد .

الإسكندر الأكبر

احتل الإسكندر فلسطين٣٣٣ ق.م. وأقام فيها تجمعات سكانية إغريقية .

تأثر اليهود بالسادة الجدد الأكثر تطوراً على حساب اللغة العبرية والتقاليد اليهودية إلا أن اليهود الملتزمين قاوموا الثقافة الإغريقية ومن تبناها من بني جلدتهم .

بعد موت الإسكندر قامت الدولة السلوقية التى أسسها القائد سلوقس أحد قواد الإسكندر . حكمها أنطبخوقس الرابع ، أحد أحفاد سلوقس ١٧٥ ــ ١٦٤ ق.م. من عاصمته إنطاكية . مثل أسلافه ، عمل على نشر الثقافة الإغريقية ، لكنه تمادى وفرض عبادته على السكان ، قاومه اليهود وقامت الثورة المكابية بقيادة يهوذا الذى لقب بالمكابى .

تكونت حركة الأخوة المكابية الدينية السياسية الثورية ضد حزب الإصلاح الهلسنتي اليهودي المناصر للثقافة اليونانية ، لكنها تحولت لحركة عامة هدفها تحرير البلاد .

انتصرت الثورة المكابية على الحكومة ومن شايعها من اليهود . فى ١٤١ ق.م. تم انتخاب سمعان شقيق يهوذا كاهناً أعظم وحاكماً على الجمهورية الجديدة والتى يُقال أنها استمرت ثمانين عامًا .

الرومان

احتل الرومان فلسطين ٦٠ ق.م. جردوا الكاهن الأعظم من صلاحياته وواجهوا ثورات اليهود بعنف . قاومت الأرستقراطية اليهودية المتأثرة بالحضارة اليونانية ، كما قاوم اليهود الملتزمون المتأثرون بالحركة المكابية .

شهدت تلك الفترة ميلاد المسيح عليه السلام .

اتســعت الخلافات بين اليهود والرومان حتى أصــبحت ثورة بين ٦٦ ـــــ ٧٠ م. فى عهد الإمبراطور نيرون . أخضع قادته الأرياف ودمروا الحصون وبعض المدن . حاصروا أورشليم ٥ شهور حتي سقطت عام ٧٠ م. . نفذ اليهود انتحارهم الجماعى الشهير : أن يقتل كل رجل أفراد أسرته ويقدم رقبته للقطع حسب القرعة . توقعوا أن لا يرحمهم عدوهم وقد صدق ظنهم فى من بقى حياً منهم .

اقتحم الرومان أُرشليم ودمروها وأحرقوا معبدها وطردوا منها اليهود وأطلقوا عليها اسم: إليا . اســتعاد اليهود بعض حماســتهم وقوتهم ، فقامت ثورة ســيمون باروخا فى عهد الإمبراطور هادريان . قضت عليهم قوات الإمبراطور قضاءً مبرماً وشتت من بقى حياً منهم الشتات الأكبر ، وذلك عام ١٣٥ م.

انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى غربية وعاصمتها روما وشرقية وعاصمتها ببرنطة.

أقام المسيحيون الشرقيون بعد أن صارت لهم الغلبة كنيسة القيامة فى إليا وكنيسة المهد فى بيت لحم ، وقد كانت وقتها المسيحية الديانة الغالبة على الخليط السكانى فى فلسطين .

اســتولى الفرس على فلســطين ٦١٤ م. ، اســتعادها منهم الرومان الشــرقيون ٦٢٨م. حتى دخلها المسلمون فى عهد الخليفة عمر سنة ١٤ هجرية .

وعن الرُسل والرسالات المصاحبة لهذه الفترة .

إبراهيم عليه السلام

الأنبياء ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم].

الأنبياء ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

العنكبوت ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة[.

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء].

البقرة ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

وبذلك استقر أمر المرسلين والأراضي المقدسة .

هذا ما كان فى بدايات المرحلة الثالثة ورســول الله إبراهيم .إلا أنه حدث تداخل بين المرحلة الثانية والثالثة كفترة انتقالية لبعض الوقت وذلك باســتمرار النهج الســابق: نجاة الرســول والمؤمنين وهلاك الكافرين :

لوط عليه السلام

بعد ما هاجر لوط مع عمه إبراهيم أذن له بالإقامة فى منطقة سدوم وأصبح رسولاً عليهم : الأعراف ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

شعيب عليه السلام

الأعراف ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .. ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ... ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

المعاملات التجارية والمالية تشير إلى التطور الزراعى والتقنى والحسابات والكتابة .

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

تشير قصة يوسف عليه السلام إلى ارتفاع المستوى السياسي والاقتصادى والزراعى والإداري والعلمى والكتابة والمعاملات وطبائع البشر و... وبدايات التعايش السلمى بين المؤمنين والكافرين.

سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

انتقل بنو إسرائيل للعيش فى مصر التى كانت طليعة التقدم الحضاري للإنسانية فى ذاك الزمان . أصبحوا أفضل حالاً مما كان عليه عامة أهل البلد ، فى ظل أخيهم الكريم المتسامح، و لمكانته العلية فى الدولة والمجتمع .

الاستقرار فى هذه الظروف يؤدى لارتفاع معدلات الولادة وارتفاع متوسط الأعمار مما يؤدى للتكاثر بمعدلات عالية .

لذلك ، ومع سابقة نبي الله يوسف الذى أنقذ الله به مصر من المجاعة والنجاح النسبى لتجربة التعايش السلمى الأُولى ، ازداد التناقض بين الطليعة المؤمنة والطليعة الحضارية العلمانية .

ويبدو أنه بعد وفاة الأنبياء والصـــالحين من بنى إســرائيل والمعتدلين من الفراعنة ، تطور التباين إلى خلافات بلغت مداها عند ولادة رسول الله موسى عليه السلام .

موسى عليه السلام

القصص ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القصص].

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف].

طه ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ .. ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾.

الأعراف ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

طه ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾.

بعد الخروج من مصر

الأعراف ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

المائدة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .. ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .. ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

الأعراف ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .. ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

داود عليه السلام

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ ﴾ [البقرة].

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ ﴾ [سبأ].

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [ص].

سليمان عليه السلام

النمل ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾ ... ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ ص ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ ﴾ .

هذا الوضع المتفرد مع الشدة وروح القهر غير المعهود بين الرسل ، قد يكون بسبب طباع رعاياه غير العاديين ، وما قد يفسر الخلافات وتقسيم الدولة بعد رحيله ، وقد يساعد فى تفهم التاريخ والشخصية اليهودية وحاجتها لمن يخفف عنها حيناً ويقهرها أُخرى .

يحيى وزكريا

مريم ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ ﴾ .

﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران] .

عيسى عليه السلام

آل عمران ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ... ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ

يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

الصف ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

عن المرحلة الثالثة

هى القسم الأول من رسالة الإسلام وحدثت فيها تحولات كبرى : ـ

ـ ارتفاع سرعة وعجلة تسارع التطور فى كل مجالات حياة الإنسان .

ـ تطور الزراعة والصناعة والإدارة والكتابة وقوة الممالك واتساعها .

ـ تحديد الأماكن المقدسة وعائلة النبوة وتوالى الرسالات واتصالها .

ـ بدأ التعايش السلمى بين المؤمنين والكافرين .

ـ بدأ الانفتاح القومى و الزمانى والمكانى للرسالات السماوية .

ـ مع تقدم العقل مازالت للحواس مكانتها ، ولمفهوم : وجدنا آباءنا يفعلون سيادته .

يمكن القول بأن المحاور الأربعة الأساسية فى حياة البشر قطعت شوطاً معتبراً فى تطورها. وانعكس الانتقال التدريجي لوسائل وآليات العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية من شبه الاعتماد الكامل على الحواس إلى المزيد من التعقل والتفكر ، مما أدى لمزيد من الاعتدال والاتجاه نحو تقويم الصراط وانعكس ذلك إيجابياً على شكل ومستوى التعامل مع الخلاف ومن ثم بدايات التعايش السلمى والحوار بين الأفراد والجماعات .

ما شهدته البشرية من تطور ومتغيرات من بداياتها الأولى يجعل الرسالات السماوية السابقة مرحلية حتى إذا حافظت على مضامينها . وفى نهاية هذه المرحلة بدأت استقامة الصراط ، مع إستمرار سيادة وجدنا آباءنا يقولون ويفعلون .

كما أن هذه الرسالات ـ خاصة المتأخرة منها ـ مهدت ودعت لإتباع الرسالة الخاتمة .

رفض اليهود بقسوة وعدوانية رسالة آخر رُسلهم ، عيسي ﵇، الداعية للمحبة والاعتدال والسلام ، متمسكين بما وجدوا عليه آباءهم ، مما يضاف إلى مُقومات وعلامات فسادهم الأول . وعلى مبدأ السببية والعقلانية يكون اليهود وهذا الفرع من عائلة رسول الله إبراهيم ﵇ قد فقد الأهلية لتلقى الرسالة الخاتمة .



المرحلة الرابعة

يشير القرآن والخطوط العريضة لتسلسل وترابط تطورات المشروع الإنساني للتحديد المسبق لخط السير ، إلا أن هذه الحتمية لم تلغ : السببية والعقلانية وحرية الاختيار.

من البدايات تمكنا من التعرف على المحاور الأساسية التى تتحكم فى المسيرة الإنسانية .

١. الأمن والسلام .

٢. المعجزة والمرجعية .

٣. العلم والتعلم .

٤. الصراط .

بعد معالجات مسائل التوحيد والخلاف والتعايش السلمى فى المراحل الثانية والثالثة ، وما تحقق من تطور فى كل نواحى الحياة خاصة الكتابة ، تأهلت البشرية للمرحلة الرابعة فى مسيرتها وذلك بتلقى الرسالة الخاتمة وفق المحاور الأربعة بعد أن نالت حظها من التطور .

ختم الرسالات السماوية

يمكن القول بأن ختم الرسالات السماوية يعتبر من أكبر المنعطفات فى المسيرة البشرية ؛ ومما يعنيه ويتضمنه :

توقف التوجيه الإلهى المباشر ، وأن يتحمل الإنسان مسؤوليات الأمانة والخلافة .

مراعات خصائص الإنسان الذى خُلق هلوعا ، عجولا ، فى كبد ، مختلفين ، .. الكفاية : لمعالجة كل جوانب الحياة ومستجدات التحديث المتسارع .

الشمولية : كل الناس وكل الأرض ورسولها رحمة للعالمين ـ كل الناس ـ .

ضمان الحفاظ على مضامين الرسالة وآليات استشعار الانحراف وتقويمه ، والتحكُم العقلانى المُنضبط فى الخلاف وفى وجدنا آباءنا يقولون ويفعلون .

المحاور الأربعة

نرى أن البنية التحتية للفكر الإسلامى تقوم على المحاور الأربعة بالترتيب الآتى :

- المعجزة والمرجعية .
- العلم والتعلم .
- الصراط .
- الأمن والسلام .

كما رأينا فإن مستوى ووسائل المعرفة والتعليم تحدد مستوى ووسائل المعجزة والمرجعية فى الرسالات المرحلية السابقة ، لكن سنجد أنه حدث بعض الاختلاف فى الرسالة الخاتمة ؛ كما أن الإلزام الدينى يتقدم عند المؤمنين على المعرفة والتعليم ، وأن هذا الترتيب يجنب انحرافات العلم وكتمانه ، وهى من أخطر الآفات كما نشاهد وكما جاء فى القرآن : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾[الشورى:١٤] . و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ [البقرة:١٧٤] .

القرآن معجزة ومرجعية

فى البدايات ، عندما كانت الحواس أهم وسائل المعرفة ، كان مستوى تدين الشخص يُقاس بقبول أو رفض ما يقدمه من قربان .

فى وقت لاحق ، فى المرحلتين الثانية والثالثة ، أيد الله الرُسـل بالمعجزات المادية دعماً للحُجج العقلية .

عندما حل وقت الرسالة الخاتمة ، تقدم العقل على الحواس ، وخلا البصر صدارة الحواس للسمع . وعلى هذا المستوى العقلى والفكرى جاء القرآن كمعجزة ومرجعية دائمة .

القرآن

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان] .

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النمل] .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر] .

عربى ، مُبين، مُيسر ، مُفصل

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف] .

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزُخرف] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر] .

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص] .

الإعجاز والتحدى المباشر

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٣) ﴾ [البقرة] .

يونس ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨) ﴾.

النساء ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ .

***

إعجاز علمى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) ﴾ [الحج].

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ﴾ [الأنبياء] .

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) ﴾ [القيامة] .

المؤمنون ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤) ﴾.

حفظ القرآن :

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القُرآن ، وقد وجد بعض المفكرين فى تطابق نظرية الانفجار الكبير لبداية الكون مع الآية (٣٠) الأنبياء ، وتطور خلق الجنيين فى الرحم مع الآيات (١٣ و١٤) سورة المؤمنون ، دلاله على أصالة النص القرآنى ، وأنه ليس بكلام بشر ولم يمسه تغيير

مفصل ومهيمن

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف] .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة :٤٨] .

الرسول وشمولية الرسالة

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف:١١٠] .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

إلزام الرسول والمؤمنين بالقرآن

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥] .

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم] .

حرية الإنسان وتحديد مهمة الرسول

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة] .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية] .

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة] .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦] .

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران] .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

إلزام المؤمنين

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩] .

بالإضـــافة إلى قدســيته عند المؤمنين وأنه كلام الله ســبحانه وتعالى وأوامره واجبة التنفيذ ، يستمد القرآن قوة إلزامه العملية من : مصداقيته وعقلانيته وصلاحيته .

ما يســتوعبه عامة المســلمين الناطقين باللغة العربية أو الدارســين لها بتلاوة أو مُطالعة القرآن العربى المُبين ، المُيسر ، المُفصل ، .. ، يُغطى الجانب الأكبر والأهم من رسالة الإسلام ؛ وبذلك يكون القرآن مرجعية ودســتوراً منشــوراً مُتفقاً عليه ، وهو ما لا يتعارض مع طاعة الرسول بعد طاعة الله ولا طاعة ولى الأمر بعد طاعة الله والرسول .

وفر القرآن المعلومات ووضـــع التعليمات والضـــوابط لتحقيق شـــروط الالتزام بارتباط مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم فى الرسالة الخاتمة ؛ والتى ستغطى ما تبقى من حياة البشر على الأرض مع ما فيها من تباين كبير فى مستوى التطور فى مراحلها المختلفة .

العلم والتعلم

بعد تحول الإنســـان من الاعتماد شـــبه الكامل على الحواس وقدراتها المحدودة ، إلى قدراته العقلية التى يبدو أنها تتوســع بمتوالية عددية بحفظ وجمع المعلومات وبمتوالية هندسـية بالتحليل والتفكُر ؛ متى توفرت الشـــروط اللازمة : كحرية التفكير والتعبير... ؛ تأهلت البشـــرية لتلقى الرســـالة الخاتمة والقرآن كمعجزة ومرجعية لما تبقى من المســـيرة الإنســـانية على الأرض بضـمانات الحفاظ على مضـامين الرسـالة وآليات اسـتشـعار الخلاف وتقويمه . وهذا يعنى أن الارتباط بين مســـتوى الدين والتدين مع مســـتوى العلم والتعلم ســـيكون متحركاً على خطوط مُتوازية ، وأن قُدرات القرآن المعلومة والكامنة تتجاوز القدرات العلمية الآنية فى كل الأوقات من البداية وعلى طول خط الســـير حتى النهاية . وبهذا يمكن القول بأنه قد تم اســـتبدال المعجزات المادية والتدخل الإلهي المباشـــر بالعلم والتفكُر والاســـتنباط وقيام الإنســـان بمسؤوليات الأمانة والخلافة على الأرض .

وكانت بداية نزول القرآن بالدعوة القوية للقرآة والتعليم والتفكُر .

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق] وتلتها الكثير من المعلومات والتوجيهات :

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم].

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [البينة].

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ [سبأ:٤٦].

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[يونس:٣٦] .

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣].

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الفرقان] .

من تتبعنا لمسيرة الإنسان على الأرض :

فى البدايات ، عندما كانت محاور الدين والتدين والعلم والتعلم تعتمد على الحواس ، لم يكن لاستقامة الصراط وجود ، لذلك سريعاً ما تطور الخلاف بين إبنى آدم إلى سفك دم أحد الشقيقين ، فى بدايات إرسال الرُسُل ، حدث بعض التقدم للعقل على حساب الحواس ، وكان له بعض الأثر الإيجابي على شكل الصراط مما خفف بعض الشيء من حدة الخلاف ، مما أدى لانقسام أقوام الرُسُل إلى أقلية مؤمنة وأكثرية كافرة يستحيل التعايش بينهما .

عندما بدأت رسالة الإسلام الكبري برسول الله إبراهيم ، كانت الرسومات قد تطورت إلى رموز وأشكال من الكتابة ، عندها بدأ شكل الصراط يتجه نحو الاعتدال ، وبدأ التعايش السلمى الهش بين الإخوان غير الأشقاء وبين القوميات وبين المؤمنين والكافرين . وفى نهايات المرحلة الثالثة ومع بعث رسول الله عيسى ﵇ بدأت استقامة الصراط . عندما أهل وقت الرسالة الخاتمة كانت الإمبراطوريات العلمانية : المصرية والفارسية واليونانية والرومانية ... ، التى سبقت وعاصرت رسالة الإسلام الخاتمة ، قد حققت تقدُماً حضارياً فى كل المجالات ، انعكس أثره على بلاد العرب . وبذلك تأهل محور العلم والتعلَم لتلقى القرآن كمعجزة ومرجعية للرسالة الخاتمة ، على أن يُغطى الارتباط المُتحرك لمستوى الدين والتدين مع مُستوى العلم والتعلم ما تبقى من حياة البشر على الأرض ، وعلى قدر دقة المعرفة وكفاءة التطبيق تكون استقامة الصراط وتجاوز : الخلاف ووجدنا آباءنا يفعلون ، وما يتحقق من سلام بعون الله سبحانه وتعالى

الصراط المستقيم :

من أهمية الصراط واستقامته ، الدعاء المتكرر فى كل ركعات الصلوات ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ ، وهى الآية المركزية فى فاتحة الكتاب ، ما قبلها تمهيد وثناء وتوسل وما بعدها

تحديد للطريق ووصـــف وتمييز لاســـتقامته . مع أن كل القرآن وهيكل وتفاصـــيل البناء الإســـلامي يقودوا إلى اســـتقامة الصـــراط ، إلا أنه توجد آيات وترتيبات خاصـــة بالصـــراط واستقامته ، ومن ذلك :

الطاعة : لله والرســـول وأولياء الأمور . طاعة ولى الأمر مشـــروطة بالتزام القرآن وطاعة الرســـول محمد ^ . لكن الرســـول محمد ^ يتلقى من الله ســـبحانه وتعالى معلومات وتعليمات وأحكام فى مسـائل خاصـة بواسطة الوحى الخاص أو القرآن ، قد تتفق مع أحكام القرآن العامة كشـاورهم فى الأمر ولسـت عليهم بمسـيطر أو قد لا تتفق مع أحكام القرآن العامة ، وهى أيضـاً مُلزمة للمسـلمين فى وقتها ، له أن يقتل ويرجُم وأن يُحاكم بشـاهد واحد أو بدون شـهود ، وكذلك زواجه وصيامه وقيامه وميراثه وأن لا يبيت فى بيته درهم ولا دينار ؛ له صـلى الله عليه وسـلم ما لا يجوز لغيره وليسوا مُكلفين به .

إن التقييد الدقيق والصـــارم بتدرج مصـــادر الإلزام بالطاعة يقفل أبواب اللبس والخلافات وتضارب مصادر الإلزام وقوتها وتناقضها .

وللرسول محمد ^ خصوصية ، والله يحكم ما يريد .

الطاعة والاستطاعة :

لارتباط مســـتوى الدين والتدين مع مســـتوى العلم والتعلم ، وللتقدم العلمى المضـــطرد فإن مســـتوى الطاعة المطلوبة يتحرك مع مســـتوى الاســـتطاعة المتوفرة . مثلاً : ســـتظل التوجيهات للمسلمين باستقبال القبلة فى الصلاة وبأن أمرهم شورى بينهم ، كما جاءت فى القرآن وفسرها وفصلها الرسول ^. لكن تتشعب مواضيع التشاور وتتطور المناهج والوسائل والآليات ، كذلك يتحسن ويتجود تحديد اتجاه القبلة مع التقدم العلمى والتقنى .

المسؤولية فردية :

لا تذر وازرة وزر أُخرى ، وكل يأتى يوم القيامة فردا ، وما ينفع المجرمون أنهم فى العذاب مُشتركون .

أُمة عادلة ووسط :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء] .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

كما علم الله سبحانه وتعالى الإنسان ما لم يعلم ، وكرم بنى آدم ، وأرسل رسوله محمد (ص) رحمة للعالمين ، والمسلمون شُهداء على الناس كما أن الرسول شهيد عليهم ، فإن خير وصلاح الرسـالة الخاتمة لا يقتصـر على المؤمنين بها فقط ، إنما يشـمل كل الناس وكل الأرض ، ومن ذلك الدعوة والعمل على تحقيق السلام لكل الأفراد والمجتمعات .

محور السلام

تترابط وتتكامل مكونات النظام الإسلامى لمعالجة أسباب الخلاف وتتبع سُبل السلام .

المائدة ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾.

فى رسالة الإسلام الخاتمة التى تغلب عليها المسؤولية الفردية ، تمت مُعالجة السلام كجزئية من النظام المتكامل بتفعيل المحاور الثلاثة وبناء الفكر الإسلامى والدولة الإسلامية على طاعة الله والرسول وولى الأمر ، والتزام الحرية والعدل والمساواة والشورى وسيادة القانون .. و وضع مُعالجات لكل القضايا الإنسانية مما يؤدى لرفع الحاجة والظلم والتسلط والقهر والجهل .. وبالتالى الحد من دواعى الخلاف والاقتتال .

لارتباط مُستوى الدين والتدين مع مُستوى العلم والتعلم ، نجد القرآن يخاطب الناس على حسب قُدراتهم ، والرسول ^ يخاطب المعاصرين له على قدر عقولهم ، لكن يُفترض فى نفس هذا النص أن يتعامل مع كل مراحل التطور التالية . وفى التعامل مع هذه الإشكالية عملت الرسالة الخاتمة على التغطية الشاملة لكل ما يهم البشر ويصلح حياتهم فى حاضرهم ومستقبلهم . وتتضمن هذه النصوص المعلومات والتعليمات والضوابط التى تُمكن المجتمعات المتدرجة فى التطور أن تتعامل مع صياغة هذه النصوص بوسائلها وقدراتها المتاحة بما يُحقق الأمن والسلام والتقدُم . وفى ذلك تحدث القرآن عن الإنسان وصفاته وغرائزه وتاريخه وعن بعض مراحل

تطوره الســابقة واللاحقة ومُهمته على الأرض والمطلوب منه فى ذات نفســه ومع الآخرين كأفراد وجماعات والهيكل العام للنظام ونظامه الفكرى والتعليمي والإجتماعى والســياســى والإقتصادى والقانونى ... ، وما فرط الكتاب فى شيء .

يقوم الهيكل العام للنظام على ترابط وتكامل كل الأجزاء وأى نقص أو تقصــير أو خلل ينعكس على الهيكل العام ، بما يقلل من فعالية النظام أو يُقعده أو يُفسـده بالكامل ، فيصـبح عقبة فى طريق التقدم أو الحياة نفســها . وخير مثال على ذلك العقوبات الشــرعية الإســلامية ، التى تتناسـب وتتكامل مع النظام الإسـلامى الحقيقى ، لكنها أصـبحت عند النظم الاسـتبدادية الإسـلامية من أهم أســاليب التضــليل للمســلمين ووســائل القمع والقهر والتقتيل لهم ؛ خاصــة حدود الردة والزندقة .

لذلك يُمكن القول بأن ما يتحقق من سلام ــ على كل المستويات ــ يتناسب طرداً مع ما يتحقق من استقامة فى الصـراط ، وأن استقامة الصـراط تعتمد على تفعيل ارتباط مستوى العلم والتعلم مع المعجزة والمرجعية .

عن المرحلة الرابعة

بعد إكمال رسالة الإسلام الكبرى بالرسالة الخاتمة ، وإقامة الدولة الإسلامية ، انتقل الرسول محمد ^ إلى جوار ربه . لم يترك وصـية بتعيين حاكم أو خليفة ، لكنه ترك لهم المبدأ العام : نور القرآن وهدى الرسول والعقلانية والسببية والتجريب .

الحالة العامة

المرحلة الرابعة هى الأقصـر والأهم فى مسـيرة الإنسـانية ، لذلك فهى فى حاجة دائمة للبحث والدراسة وإعادة وتجديد البحث والدراسة .

اهتم الرسول محمد ^ بالتعليم والتوثيق ونشر الكتابة .

بالإضافة إلى ما جاء فى القرآن عن النظام الدستورى والقانونى والضوابط والتعليمات ...، كانت توجد توجيهات خاصة بالرسول^ ومُعالجات إلهية لبعض المسائل والخلافات ، ومن ذلك : مُعالجات الثلاثة المُخلفين وحادث الإفك والأسرى والغنائم .. هذا بالإضافة إلى شخصية الرسول الذى أدبه ربه وأحسن تأديبه والذى نزل عليه القرآن وفسره وفصله وطبقه . لذلك ولغيره كان انتقال الرسول ^ صدمة قاسية على المسلمين ، وخوف من المستقبل ، مع ما جاء فى القرآن بأنه بشر وأنه قد يموت أو يُقتل ، ومع ما سبق وفاته من مرض . ومن ذلك ما يُنسب لعمر بن الخطاب بإنكاره لخبر وفاة الرسول ^ حتى َذكّرهُ أبو بكر الصديق بما نسيه من آيات .

أبو بكر الصديق

فى اجتماع لمن حضر من بالمدينة من المسلمين ، وبمبادرة من عمر بن الخطاب وموافقة عامة ، تمت مبايعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله . وخليفة بمعنى الوكيل والممثل والنائب وهى الالتزام الكامل بما جاء عن صاحب الشأن .

واجه أبو بكر محاولات الردة بحزم ، وأنه سيقاتل على عقال البعير ، مُخالفا لبعض كبار مُستشاريه . وذلك لإدراكه خطورة التراخى فى تطبيق كل جُزئيات هذا النظام المتكامل .

عمل أبو بكر بالتوزيع المتساوى للعطايا بين المسلمين ، مُخالفاً اقتراح عمر بن الخطاب بالتوزيع حسب السابقة والبلاء فى نصرة الدين والقرب من رسول الله ^.. ، مُحتجاً بأن الفضل يُكافئ عليه الله سبحانه وتعالى ولكنه كخليفة يوزع أسباب معايش الناس وهم فى ذلك سواء

عمر بن الخطاب

أشــار أبو بكر بتعيين عمر خليفة ، أرجع عمر الأمر لعامة المسـلمين المتواجدين بالمدينة بما يشبه الاستفتاء ، ونال الموافقة بما يشبه الإجماع .

نفذ عمر التفاوت فى توزيع العطايا الذى ســـبق أن أقترحه على أبى بكر وفق مبادئ العدالة العُمرية الصارمة ، ومع ذلك بدأت الآثار الاقتصادية والاجتماعية السالبة فى الظهور ، ويُنسب للخليفة عمر القول فى آخر عهده بأنه إذا اســـتقبل من أمره ما اســـتدبر ســـيأخذ فضـــول أموال الأغنياء ويردها على الفقراء .

يُحمد لعمر محاولاته تطوير نظام الحكم ، ومن ذلك طريقة تعيين الخليفة : فبدلاً من الإغفال الكامل أو التعيين ، اختار مجلس شورى من ستة أعضاء ليختاروا من بينهم خليفة .

عثمان بن عفان

اختار مجلس الشـورى عثمان بن عفان خليفة ، وكان شـيخاً تقدمت به السـن ، يميل إلى اللين والتســامح والتســاهل ، مُحباً لأهله وللمســلمين ، ويُنســب إليه القول بأنه إذا كان عمر يتقرب لله بحرمان أهله فإنه يتقرب إليه بالإنفاق عليهم ، وتوسـع فى ذلك وأشـركهم فى أمره حتى أصـبح عند بعض المسلمين خروجًا على مبادئ العدل والمساواة التى آمنوا بها .

فشـلت محاولات مراجعة الخليفة ، وقد رأينا أن وجهة نظر الخليفة عند أبى بكر وعمر كانت غالبة ، كما رفض الخليفة عثمان التنحى والاســـتقالة وابتداع أمر فى الدين لم يســـبقا إليه أحد. تطور النقد إلى اعتراض وثورة وحصـــار وقتل للرجل الصـــالح مغضـوباً على سـياســاته المالية والإدارية وعلى أهل بيته . وانفتح باب الفتنة الكبرى التى ما زالت مستمرة حتى اليوم ، بدلاً من فتح باب أوسع للدراسات الدينية والفكرية والسياسية .. والذى ظل مُغلقاً حتى اليوم.

على   فى هذه الظروف تم تعيين على بن أبى طالب خليفة وفق النظام الدســـتورى للدولة لمعالجة الخلافات الإدارية والمالية ، والتى كان مقدوراً عليها .

كان على الخليفة الرابع التعامل ، مع المتمردين الذين أصــبح بعضــهم من قتلة عثمان ، كما كان عليه التعامل مع معارضة داخلية من أُم المؤمنين عائشة وبعض كبار الصحابة ومُعارضة إقليمية من معاوية الذى أعلن نفسه ولياً لدم عثمان .

فشـــلت محاولات على ومن معه فى مقاومة تمرد معاوية والحفاظ على النظام الدســـتوري والقانونى للدولة ، وباغتياله انهار النظام وأصبح معاوية حاكم دولة المسلمين .

و هكذا وصـــلنا للنهاية المأســـاوية للمرحلة الرابعة فى المســـيرة الإنســـانية ؛ لتبدأ المرحلة الخامسة بمعاوية بن أبى سفيان ودولته الأموية .



المرحلة الخامسة

استولى معاوية على السلطة بالقوة ، ومن وقتها أصبحت القوة العامل المُتحكم فى بقاء وتغيير أنظمة الحكم فى المجتمعات الإسـلامية حتى اليوم ، مما يعنى إلغاء النظام الدسـتورى والقانونى للدولة الإسـلامية . ولا يتم ذلك إلا بالسـيطرة والتحكم فى الأفراد والسـياسـة والإدارة والمالية والقانون ... لمصـلحة النظام والقائمين به والموالين له ، وإلغاء الشـورى والعدل والمسـاواة وحرية التفكير والتعبير .

أصـاب الشـلل التدريجى النمو الطبيعى للفكر والتفكر فى المجتمعات الإسـلامية وأدى ذلك للتباين بين مستوى الدين والتدين والعلم والتعلم ، وبهت وانحرف الصراط عن الاستقامة وفشلت معالجات أسباب الخلاف والتخلف . وأصبح الجهل والخلاف والتخلف والتعصب والظلم والقهر والنظم الاستبدادية من سمات المجتمعات والدول الإسلامية .

لذلك يمكن اعتبار النظام الأموى بداية للمرحلة الخامسـة فى المسـيرة البشـرية والتى امتدت حتى قيام النهضة الأوروبية الحديثة ، وهى تضم أصحاب الرسالات السماوية الكبرى الثلاث . ومما جاء فى القرآن عن أهل الكتاب :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت].

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ [الجمعة] .

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة] .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النساء] .

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان].

العبرة بعموم الحكم والمعنى فى القرآن ، لذلك فإن ماء جاء فيه عن أهل الكتاب يشمل المسلمين أيضاً على قدر تشابه وتطابق الحالة .

اليهود

عند اليهود : التلمود هو تفسير الحاخامات للتوراة ومن لا يخاف الحاخامات لا يخاف الله .

- لا خلاص لمن ترك التلمود وتمسك بالتوراة فقط .
- من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت .

بدأ الشرح والوضع والحذف والإضافة والتناقُض فى وقت مُبكر . ومن ذلك : تدعوا رسالة أرميا لشـيوخ السـبئ ببابل للزواج من الآخرين والاختلاط بالسـكان والإخلاص للبلاد التى يسـكنون والاندماج فى المجتمع ويحذر من العنصرية ودعاة التعصب . فى حين تدعوا تعليمات عذرا ونحيما العائدين من السبئ البابلى إلى فلسطين منتصف القرن الخامس قبل الميلاد لمنع الزواج بالأجنبيات وربط الدين بالعنصرية .

يغلب على التلمود الخروج على أصـول الديانة اليهودية ، ويبدو أنه انعكاس للظروف التى مرت بهم والمآسى التى عاشوها ، كما يُصور طموحاتهم ورغباتهم ، ومما يُنسب إليه :

- تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه.
- الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وسائر الشعوب .
- خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود .
- الإسرائيلي عند الله أكبر من الملائكة وضربه كضرب الذات الإلهية يستوجب الموت
- يبذل اليهودى جهده لمنع باقى الأمم من امتلاك الأرض لتبقى السلطة لهم وحدهم .
- قتل المسيحى واجب ، ولا يلتزم اليهودى بعهد لمسيحى .
- ليس من العدل أن يشفق الإنسان بأعدائه ولا يرحمهم .
- يحق لليهودى أن يغش الكفار .
- بأمر الله يأخذ اليهودى الربا من غير اليهودى .
- لليهودى أن يحلف كاذباً فى مُعاملاته مع غير اليهود .

قتل غير اليهود حسنة .

الذى يخرج من دين اليهود يُقتل .

و هكذا اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله وقســت قلوبهم . وبالإضــافة للعدوانية وازدواجية المعايير اختلقوا وهم النقاء العنصــرى ووحدة العرق وأنهم من ســلالة إبراهيم ، حتى لو كان الإسرائيلي من السود أو البيض .

انعزال اليهود الطوعى وجد هوى عند المسيحيين الغربيين ، فأعانوهم عليه وأحياناً أجبروهم على السكن فى أحياء خاصة ولبس زى خاص ، وأصبح الربا والبخل والقسوة من مترادفات اليهودى .

كل ذلك يؤدى للاحتكاك بينهم والوســط المعادى ، وكثيراً ما تتطور الخلافات الفردية لمواجهات دامية وتصفية نوعية وطرد من الدول .

شحذت هذه الظروف والأوضاع الشاذة همم وأفكار اليهود ، فحققوا نجاحات فى دنيا المال والأعمال والسياسة والعلوم ، .. .

المسيحية فى الدول الغربية

رسول الله عيسى المسيح عليه السلام آخر رسل بنى إسرائيل ، رفض اليهود دعوته للاعتدال والمحبة والصراط المستقيم والسلام واتباع الرسالة الخاتمة .

لكنها انتشــرت عند الأمم الأُخرى ، وبعد ثلاثة قرون من رســالة الســيد المســيح وبدخول القيصــر الرومانى قسطنطين المسيحية ، أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية الشرقية ـ عاصمتها القسطنطينية ـ وبذلك أصبحت عنصرا أساسياً فى معادلات الحكم و المال .

أقامت المسيحية مؤسساتها الكنسية ونظامها المالى والإدارى وصارت لها السلطة الروحية فى الدولة الرومانية ، على مبدأ الفصل بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية على أساس ما لله وما لقيصر لقيصر ، وهو وضع غير قابل للتطبيق لتداخل مسائل السياسة والمال والحرب مما يؤدى لخلافات تصعب السيطرة عليها .

الممالك الإسلامية

الدعوة الإسلامية هى دعوة للصراط المستقيم تشمل كل جوانب الحياة وكل العلوم والمعارف وفق منهج علمى عقلانى ملتزم بمرجعية القرآن وشـــروح وتفصـــيل وهدى الرســـول محمد ^ وجهود المفكرين والمصلحين لتحقيق درجات عالية من المصداقية والعدالة والإخاء الإنسانى ودفع مسيرة التقدم بعجلة مُتسارعة ليعم الرخاء والسعادة كل أفراد المجتمع الإنسانى . لكن هذا النظام تم تجريده وتعطيله وتحويله لممالك وحكومات استبدادية جاهلة حتى ألصــق المســلمون بالخلفاء الأربعة الأوائل صـــفة : الراشـــدين ، تمييزاً لهم عن بقية حُكام المســلمين الفاســدين ، لرشادهم و لقيامهم بحق الخلافة عن الرسول محمد ^ فى أُمته ، وألحق البعض بهم عمر بن عبد العزيز الأموى ، وإن كان يوجد من يقول بأنه أعور بين عميان .

تم تعيين الخلفاء الأربعة باستشاريين بشرط الالتزام بالدستور والقانون ، ثم البيعة التى تعنى الرضى والقبول وهو شكل من الاستفتاء .

اســتولى معاوية على الســلطة بالقوة وتعطيل الدســتور والقانون وانتكس الحُكم لنظام ملكى وراثى يمارس الظلم والقهر ضـــد مواطنيه ؛ وتحكم فى مالية الدولة والأفراد لمصـــلحة النظام والقائمين به والموالين له واستمر هذا المنهج حتى اليوم .

ظهرت أشــكال مختلفة من المعارضـــة المســلحة والفكرية والطائفية .. وفى كل الحالات لا يتغير ولا يستمر نظام الحكم إلا بالقوة ولا يتجاوز التغيير القشور والعوائل والأشخاص .

صـــاحب هذا الانحراف الدينى والفكرى والســـياســـى والإدارى والمالى .. تهميش للقرآن ؛ والانتقاء بما يخدم السلطان .

اعتاد المســلمون التعايش مع نُظم الحكم الاســتبدادية ، ووطنوا أنفســهم على الدين المنحرف المنقوص والتعايش السلبى مع الخلاف والتخلف ؛ وفقد المسلم الإحساس بالتناقض بين الإسلام الحقيقى وهذا المسخ المشوه ؛ بل تعدى الأمر إلى إلباسه ثوب القدسية . وهكذا تأسس وترسخ الانحراف الدينى والسياسى والفكرى الهيكلى كما حدث فى اليهودية والمسيحية .

و مع ذلك فإن ما تبقى من روح الإســلام وقوة الدفع الأولى أدى لقيام نهضـــة فكرية وعلمية دفعت المسيرة الإنسانية فى طريق التقدم ، لكنها سرعان ما وصلت حدودها الطبيعية و ضعُفت وتوقفت فاختل الميزان لصالح الحلف المسيحى اليهودى الغربى .

الحلف المسيحى اليهودى الغربى

فى القرنين العاشر والحادى عشر ساندت الكنيسة النظام الإقطاعى ثم سقطت تحت نفوذ الإقطاعيين الأرستقراطيين فى روما حتى تحررت فى نهايات القرن الحادى عشر .

نادت الكنيسة بمحاربة الفساد وإصلاح نظام الحكم على أن يكون ذلك تحت إشراف البابا ، ويستمد الحاكم سلطاته من الله عن طريق البابا ، وبذلك أصبحت للبابا صلاحيات فى التوجيه والتدخل فى تعيين الحُكام وعزلهم . مما يعنى شكلاً آخر من الخلافات وتنازع السلطات ؛ أدى للإضطراب والتخبط .

فى سعى الدولة للتحرر من النظام الكنسى قالت بأن الملك يتلقى السلطة من الله مباشرة . وأخيراً ، وفى القرن الرابع عشر، تقوى النظام الملكى وتجمعت كل السلطات فى يد الملك .

الدولة الوطنية

تأثر الفلاسفة الغربيون أمثال بيكون (١٢١٢ ـــ١٢٩٢) م بالقرآن والثقافة الإسلامية خاصة ابن سينا وابن رشد وكتاباتهم العلمية والفلسفية والمنهج العلمى التجريبى بالإضافة للفلسفة الإغريقية خاصة أفلاطون وأرسطو التى حافظ عليها المسلمون خلال قرون الظلام فى أوروبا .

فى نهايات القرن الخامس عشر ـــ خروج العرب النهائى من الأندلس ـــ ، ومع انطلاق الاكتشافات العلمية والجغرافية والتطور الصناعى والإقتصادى ظهرت الحاجة لتتبع ومعالجة التغيرات السريعة والمتلاحقة فى كل جوانب الحياة . وظهر من المفكرين :

ميكيافلى

يُعتبر الرمز الأشهر ، قال بأهمية التفريق بين الحياة كما هى فى الواقع وكما يُفترض أن تكون وأن البشر جميعاً أشرار متشككون ولا يعترفون بالجميل .

و عن الكنيسة : يحكم ديننا للخاضعين من البشر بالسعادة أكثر مما ينال العاملون ويرى فى الخضوع ورفض كل ما هو دنيوى أعلى الفضائل . ويقول بأن هذا الأسلوب فى الحياة أضعف العلم وجعله فريسة للأشرار .

وعن الأمير المثالى : يظهر الرحمة والإنسانية والتقوى وأن يفعل غير ذلك وعندما لا تنفع الأمانة يفيد الكذب ، وأن يعرف كيف يعطى لطبيعة الثعلب شكلاً حسناً .

عن الجمهوريات : ما يرفع من شأن الدولة ليس المصلحة الشخصية لكن الصالح العام .

هوبز وآخرون

توالى المفكرون والفلاسفة فى بحث قضايا الدولة والحكم من هوبز الذى يؤيد الحكم الفردى الإستبدادى القوى الذى يقضى على الفوضى والإضطرابات مع التضحية بالحرية إلى لوك المعارض لنظرية الحق الإلهي الإستبدادى حتى لو أدى ذلك للفوضى .

تقوى تيار دعاة الحرية بالفرنسى مونتسيكو وكتابه روح القوانين وبكتاب العقد الإجتماعى لجان جاك روسو .

فى هذه المفارقة : مُحاربة دعاة الحرية للدين ووقوف المتدينيين ضد الحرية ، انهزم التيار الدينى الذى وقف مع دعاة الحق الإلهي والحكم الاستبدادي . ومن هنا تهيأت الظروف الموضوعية لتشكيل الحلف المسيحي اليهودي الغربي .

بمداد المفكرين الغربيين ودماء المؤيدين والمعارضين تبلور مفهوم الحرية والمساواة الاجتماعية وأمام القانون . قالوا بحرمة الإنسان والملكية الفردية وأن الصدق والعدل أكثر فائدة لشعوبهم ؛ ويبدو أن الاقتباس من القرآن واضحاً . وألحقوا الحرية الجنسية بالحرية الشخصية ، وقالوا بأن ذلك يحقق أكبر قدر من المنفعة واللذة لأكبر عدد من الأشخاص ، لأن الإنسان يسعى بطبعه لتجنب الألم وتحقيق مصالحه لذلك يحرص على الاستقرار والسلم .

ما تحقق مجهود إنسانى إيجابى نسبياً ، من شجرة : جذورها القرآن و الفلسفات الإسلامية واليونانية القديمة والمسيحية واليهودية التلمودية وجذعها الميكيافلية وفروعها مصالح شعوبها .

بمشـاركة يهودية فاعلة ومتنامية . وهذا ما يُفسر عدم تعارض قيم ومبادئ إنسـانية سـامية مع سلوكيات همجية . ومن ذلك :

- الصدق والعدل والمساواة لشعوبهم والكذب والاستغلال والقهر للآخرين .
- تنظيم الغربيين لأكبر حملة استرقاق فى تاريخ البشرية .
- استعمار واستغلال معظم بلاد العالم .
- الإبادة الجماعية والعرقية لشعوب وجماعات إنسانية .

و يُحسـب لهم : المرونة لكونها مجهود إنسـانى ، وإمكانية التغيير ومُعالجة القصـور حسـب المصلحة والمستجدات ومطرقة الضغوط الداخلية وسندان المقاومة الخارجية .

نجح المستنيرون والعمليون من المسيحيين واليهود فى فصل الدين عن الدولة ووضعوا نظام علمانى يعتمد العقلانية وبعض الفلسـفات القديمة والمصـلحة بظلال من الدين . فحملوا راية المسيرة الإنسانية لتجاوز المرحلة الخامسة بظلاماتها والدخول بقوة فى المرحلة السادسة.

المرحلة السادسة

الأصل فى اليهودية والمسيحية أن يحدها الزمان والموضوع والقوم والتبشير برسالة محمد ^ الخاتمة . لكن بالتحريف والحذف والإضافة والانتقاء تحورت لمفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية .. خارج زمانها ومكانها وموضوعها وقومها ؛ ولذلك لم تكن لها القدرة على مُجارات ارتباط مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم وأصبحت عقبة فى طريق التقدم ، أما نظام الإسلام المُتكامل فقد تم تحريفه وتجريده من المعجزة والمرجعية حتى فقد القدرة على مجاراة ارتباط مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم وأصبح عقبة في طريق التقدم مثله واليهودية والمسيحية ، وبذلك أصبح الحل الوحيد أمام المفكرين والمهتمين الغربيين : كسر القيود الدينية وتجاوزها .

بالمفاهيم الجزئية المنقوصة لقيم الحرية والعدل والمساواة .. ، وازدواجية المعايير وتحكم المصالح الخاصة ، تمكن الحلف المسيحى اليهودى الغربى من تحقيق إنجازات كبرى فى كل المجالات ، غيرت حياة الإنسان على الأرض ودفعت المسيرة الإنسانية بخطوات سريعة فى طريق التقدم على حساب ظلم وقهر واستعباد وإبادة مجتمعات وشعوب أُخرى .

الصهيونية

ظل اليهود فى العالم المسيحى الغربى فى شد وجذب مع خصومهم التاريخيين . الذين وجدوا فرصتهم بعد انتشار الأفكار الإنسانية التحررية . فحققوا نجاحات باهرة وأصبحوا قوة مُعتبرة.

صهيون : اسم جبل فى القدس وتُعَرف الصهيونية بأنها نداء العودة للقدس ، وهى دعوة قديمة بلا فعاليات سياسية ولا عداوات عنصرية .

ممارسات اليهود وسلوكياتهم خلقت لهم المشاكل مع الأوروبيين المسيحيين . تصاعدت مع التطور السياسى والإقتصادى لأوروبا القرن التاسع عشر ونمو الدعوات العنصرية أواسط القرن . تنامت الدعوة الصهيونية واكتسبت طابعاً سياسياً متطرفاً على يد ثيودور هرتزل .

هرتزل : (١٨٦٠ ــ ١٩٠٥) م ؛ أصدر كتابه الدولة اليهودية عام ١٨٩٦م ، قال فيه بأن قيام دولة تجمع كل اليهود هو الحل الوحيد لعلاج مشاكلهم ومما جاء فيه :

- اليهود فى كل العالم يشكلون عرقاً وشعباً واحداً .
- عانوا من الاضطهاد عبر التاريخ ومن كل الشعوب والأنظمة .
- أنهم غير قابلين للاندماج فى المجتمعات الأُخرى .

تبلورت عنده فكرة قيام دولة يهودية كهدف مركزى . بعد وفاته فى عام ١٩٠٥ م ؛ فى المؤتمر الصهيونى السابع ، تحددت فلسطين كموقع وحيد لقيام دولة إسرائيل .

وعد بلفور

فى صيف ١٩١٤ بدأت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا وتركيا ضد بريطانيا وحلفائها. وجد اليهود فى ظروف الحرب مناسبة تساعدهم على إقامة دولتهم . اتخذوا سويسرا المحايدة مركزاً لهم .

فى بدايات الحرب والقوات الألمانية فى تقدم ، عرض الصهاينة على الألمان دعمهم الحربى مقابل إقناع الخليفة العثمانى بالموافقة على قيام دولة إسرائيل على جزء من أرض فلسطين ، لكن الخليفة رفض . اتفق الصهاينة مع بريطانية التى كانت تحت الضغط الألمانى على تحقيق أهدافهم غير المتعارضة ، فقدم الصهاينة الدعم للمجهود الحربى البريطانى .

اكتشف د. وايزمان اليهودى طريقة عملية لتصنيع الأستون المستخدم فى تصنيع القنابل . كما أثمرت جهود اليهود فى إدخال أمريكا الحرب لصالح الحلفاء .

فى ١٩١٧/١١/٢ ، أرسل بلفور وزير خارجية بريطانية خطاباً لليهودى الأمريكى روتشلد بالموافقة على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

انتصـــرت بريطانية فى الحرب ، إلا أنه قبل تنفيذ الوعد ، وكنتيجة مباشـــرة للهزيمة ، ظهر الحزب النازى الألمانى بقيادة أُدولف هتلر وحَملَ اليهود وزر الهزيمة .

هتـلـر

يزعم بأنـه تجنب الخدمـة الإلزاميـة فى الحرب العـالميـة الأولى لتفـادى الاختلاط مع اليهود وأمثالهم . وقال أنه اكتشـف المواصـفات الأخلاقية لشـعب الله المختار : لا توجد قذارة ولا فجور فى الحياة الثقافية والأخلاقية بغير مشـاركتهم ، فهم يقودون بقسـوة وقلوب باردة حركة المجتمع المعاكس وإغواء الفتيات المسيحيات ودفعهن للدعارة .

تطوع هتلر فى الحرب العالمية الأولى وكان يقول :

مع تفوق جنودنا وأسـلحتنا لا أمل لنا فى النصــر لأن أعداء الشـعب الحقيقيين من اليهود والشيوعيين أشد خطراً من مدافع الأعداء ؛ الطعنة من الخلف .

اختارت العناية الإلهية الجنس الآرى ، خاصة الألمان ، لسيادة الأرض والبشر .

بناء ألمانية الكاثوليكية العنصرية الموحدة لتضم كل الألمان ورفعها فوق الجميع .

أن تكون أوروبا خالية من اليهود .

الروس يملكون الأرض ، وعلى الشـعب الألمانى الزحف شـرقاً لامتلاك الأرض بحد السـيف للمحراث الألمانى لإطعام الشعب الألمانى .

إن القدر رحيم بألمانيا ، فقد سـلم مقاليد الأمور فى روسـيا للبلاشـفة وهو مرادف لتسـليمها لليهود .

بقليل من التضحيات بالدم الألمانى يمكن تحقيق المدى الحيوى لألمانيا الكبرى التى تلم شتات الألمان .

لا يمكن عمل سياسات اقتصادية بغير السيف ولا تصنيع بلا قوة وفى النهاية تسود غريزة حب البقاء .

طفل الطبيعة المفضل هو الأقوى فى الصناعة والشجاع فى الحرب .

على الأقوى السيطرة وألا يتعاطف مع الضعفاء وألا يتخلى عن عظمته .

من يريد البقاء عليه أن يقاتل ومن لا يريد الحرب فى هذا العلم المبنى على الصراع الأبدى لا يستحق الحياة . وهذا هو القانون مهما يكن قاسيا .

لا تفنى الحروب والهزائم الرجال ولكن يفنيهم عدم المقاومة الناجم عن اختلاط الدماء .

و كنتيجة لعمل القوانين العنصرية الطبيعية سيستمر انتخاب الأفضل حتى تتحقق لهم السيادة على الأرض.

هتلر مثله والألمانى مارتن لوثر المصلح الدينى والموسيقار فاجنر فى كراهيتهم لليهود واتهامهم بالسعى للسيطرة على العالم بأموالهم ونفوذهم .

بدأ هتلر تنفيذ برامجه المعلنة ضد اليهود فور استلامه السلطة . وتم استبعاد اليهود من الخدمة العامة والنشاط الثقافى والمهن الحساسة بموجب قوانين نورمبرج المُعادية للسامية فى ١٩٣٥ م ؛ ويبدو أن هذا هو سبب اختيار نورمبرج لمحاكمة القادة النازيين المهزومين ، مثلما أجبر هتلر الفرنسيين المهزومين فى بدايات الحرب على توقيع وثيقة الاستسلام فى نفس عربة القطار التى وقعت فيها ألمانية المهزومة فى الحرب العالمية الأولى نفس الوثيقة .

مكتب الهجرة اليهودية :

الجهة الوحيدة التى تصدر تصاريح هجرة لليهود من ألمانيا ، يرأسه أُدلف إيخمان الذى قبضت عليه الموساد فى الأرجنتين وهربته لإسرائيل وأعدمته ١٩٦٣م . تعاون إيخمان مع

الوكالات اليهودية لتهجير أعداد من اليهود ويُقال أنه تعاون معها أيضـــاً لتصـــفية آخرين ويُنسب لبعض قادة اليهود آنذاك قولهم بأن قتل بعض اليهود يخدم قضيتهم أكثر من إنقاذ حياتهم .

العنف والإرهاب :

اعتمد النازيون العنف والإرهاب سياسـة داخلية وخارجية لتحقيق أهدافهم . طالت تصـفياتهم الجسدية الألمان وغيرهم من الأعراق والأديان ..خاصـة اليهود . استعملوا فى القتل الرصـاص والغازات السامة ... كما استعملوا الأسرى كحيوانات تجارب : اختبارات التجميد وإعادة الحياة ، الإرتفاعات الشاهقة للطيارين ، التسلية والترفيه ، والجماجم للزينة .

اليهود فى أمريكا

يتمتع اليهود فى أمريكا بثقل فاعل فى المال والســياســة والإعلام مما مكنهم من التأثير فى اتخاذ القرارات على كل المستويات حتى الرئيس ــــ روزفلت أثناء الحرب ــــ لذلك تمكنوا من ترجيح كفة دعاة التدخل فى الحرب لصـالح الحلفاء ضـد المنادين بالحياد ، مما أدى لانتصـار الحلفاء .

الصهيونية والنازية

تحت عباءة العداء الدامى بين النازية والصــهيونية يكمن التنافس ووجوه الشــبه والاقتباس المتبادلة والتى منها :

- الشعور بالتميز :شعب الله المختار ، سيادة الجنس الآرى ، ألمانيا فوق الجميع .
- السعى للسيطرة على العالم .
- الأسس النظرية والعنصرية والقسوة والإرهاب وازدراء الحياة والقيم الإنسانية.

□ الإدراك المتميز لقوة المعرفة فى كل جوانب الحياة واستغلاها بكفاءة عالية .

□ الاعتماد على المواهب والجهود الفردية لشخصيات مُميزة : هيرتزل ، أنشتاين ، وايزمان ، هتلر عبقرى العنصرية والدكتاتورية والحرب .

□ و أخيراً وجه شـــبه لم تكتمل معالمه بعد : النجاح الباهر عند الإنطلاق لتحقيق الهدف ثم انقلاب عناصر القوة لتكون عاملاً حاسماً فى الإنهيار الكامل للمشروع العدوانى .

ذكر هتلر فى شـهادته قُبيل انتحاره بأنه لم يكن يريد الحرب وأنه أرسـل نائبه لتشـرشـل لحل المشاكل العالقة وتفادى الحرب لولا إصرار اليهود على قيامها ، وظهرت كتابات بريطانية بعد الحرب تؤيد ذلك ، منها كتاب « The Jewish war of survival » حرب اليهود من أجل البقاء ، ومما جاء فيه : لم يكن لبريطانية مصـلحة فى الحرب وأنها كانت نهاية لإمبراطوريتهم وأنه كان من الممكن والمصـــلحة الاتفاق مع هتلر الذى أرســل نائبه رودلف هيث للتفاهم مع تشرشل لتفادى الحرب لكنهم أخفوا هذه الحقيقة حتى نهاية الحرب لإصرار اليهود على إشعال نار الحرب وأن بولندا التى قامت الحرب بدعوى الدفاع عنها ، انتهت الحرب وهى مســتعمرة ســـوفييتية ، ولكن هذا التيار تم إســكاته مثل كل ما لا يرضـــى اليهود عن نشـــره فى حريتهم وديمقراطيتهم الموجه والمنقوصة .

شـــارك اليهود بفعالية فى الحرب العالمية الثانية مما خولهم حق اقتســام الغنائم مع الحلفاء ، وكان نصيبهم فلسطين .

فلسطين وإسرائيل

لم يتمكن العرب الخاضــعون للاســتعمار الغربى من وقف الهجرة الاســتيطانية اليهودية فى فلســطين ، المدعومة من الغرب المســيحى الديموقراطي والدكتاتوري النازى ، ولا منع قرار الأمم المتحدة بالتقسيم ١٩٤٧م ، وانهزموا فى حروب ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ للفارق

الحضـارى والعسكرى والدعم الغربى غير المحدود ، خاصـة الأمريكى . حقق العرب بعض التوازن فى حرب ١٩٧٣ بمساعدة الإتحاد السوفييتي ، وبعدها يبدو أن الصهيونية اتخذت قراراً بتفكيك دول الإتحاد السوفييتى لتنفرد أمريكا الخاضعة لهم بسيادة العالم .

بعد انهيار الإتحاد السـوفييتي لم يعد فى وسـع الدول العربية شـن الحرب على إسـرائيل أو التهديد بها لمنعها من إحكام سـيطرتها على ما تبقى من فلسـطين . فاسـتلم الأفراد والجماعات السرية راية المقاومة ، وبذلك دخل الصراع الإسلامى ضد التحالف الصهيونى المسيحى الغربى مرحلة جديدة ، وكانت أحداث سـبتمبر . وبدأت تطغى سـلبيات القيم الجزئية المنقوصـة وازدواجية المعايير وتَحَكُم المصـالح الخاصـة على إيجابياتها وانتكسـت وتراجعت المسـيرة الإنسانية ، وهو ما لن يستمر طويلاً.

اختلقت أمريكا أسـباباً واهية ووهمية لحروبها بالوكالة عن اليهود ، خسـرت سـمعتها ومصـداقيتها ، وبدأ الشـرخ الظاهر والخفى فى الحلف اليهودى المسـيحى الغربى . وبقليل من الجهد وحرية التفكير والتعبير والتحول الفكرى والسـياسـى يمكن للمسـلمين إصـلاح أنفسـهم والمساهمة مع غيرهم لشق الطريق لتقويم مسار البشرية على جادة الصراط المستقيم والسلام والدخول فى المرحلة السابعة من المسيرة الإنسانية .



المرحلة السابعة

مستقبل البشرية

الاتجاه العام لمسيرة الإنسان على الأرض هو التطور المبنى على العلم « علم الإنسان ما لم يعلم » . وهو الطريق العلمانى المبنى على الحرية والسببية والعقلانية ، وهو التكريم العام لبنى آدم وحملهم فى البر والبحر .

تتدخل الرسالات السماوية لدعم وتقويم العلمانية لتحقيق أفضل النتائج بأقرب المسالك وتفادى سلبيات وانحرافات التجريب غير المُنضبط ، وهو التكريم الخاص ــ أكرمكم عند الله أتقاكم ــ ، الذى يتناسب طرداً مع الالتزام بأحسن ما أنزل الله سبحانه وتعالي .

بعض القوانين التى تحكم المسيرة

- طبائع البشر المحتاجة دوماً للدراسة والرقابة والضوابط الداخلية والخارجية حتى يمكن دفعها فى طريق الاعتدال والصراط المستقيم ، بما يُجنب الانحراف ويخدم الصالح الخاص والعام للأفراد والجماعات والإنسانية عامة .

- الاتجاه العام نحو التطور والتحديث والتعايش السلمى ليعم كل البشر.

- الخلاف بين الناس هو الأصل فى الحياة ويرتبط مستوى التعامل معه بالمستوى الحضارى للإنسان والتكريم العام والخاص.

- وجدنا آباءنا يقولون ويفعلون ، هو القانون الذى يحمى ما يتحقق من مكتسبات ومعلومات ، ويحمى أيضاً السلبيات والانحرافات ويمنع المعالجات والتحديث .

- تفعيل قانون ارتباط مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم يقود لاستقامة الصراط ومعالجة أسباب الخلاف والتخلف والتعامل العقلانى مع وجدنا آباءنا يقولون ويفعلون .

o ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ . ويشمل الجانب الإنسانى فى التغيير: الرغبة ، الهدف منه ؛ المعلومات الخاصة بموضوع التغيير ؛ وسائل التغيير والعقبات المتوقعة ؛ الجهد اللازم لعملية التغيير .. . مما يعنى أن التغيير عمل إنسانى إرادى وهو تأكيد لبعض صلاحيات والتزامات الخلافة والأمانة .

المستقبل المنظور

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء:١] .

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس] .

تتعامل الآيات مع البشر كوحدة سُكانية والأرض كوحدة سَكنية ، وتشير الآية الثانية إلى مستوى تطور فوق تصور الإنسان المعاصر ، شامل لكل الأرض وكل سكانها البشر . مما يعنى ازدياد عجلة تسارع التقدم الاجتماعي والسياسي والإقتصادى والعلمى والتقنى والصناعى ... ، وحل قضايا السلم والحرب والفقر والبيئة والصحة .. ، ويبدو أنه فى هذه الحالة لا معنى للقومية والحواجز والحدود بصورتها الحالية . هذه هى بعض معالم المرحلة القادمة والأخيرة من مراحل المسيرة البشرية على الأرض ، ويبدو أن الوضع الحالى هو حالة المخاض وآلامها .

الوضع الحالى :

اليهود : من تاريخهم المأساوى وواقعهم المؤلم ومستقبلهم المظلم سيبقى الخوف والميكيافلية وأقوال الحاخامات ، ولن يزيدهم العنف والعنف المضـــاد إلا تطرفاً . أما إذا ظهرت لهم إمكانية أمل حقيقى فى مُستقبل أفضل سترتفع أصوات المعتدلين والصالحين منهم حتى تكون لهم الغلبة.

إســرائيل : تعتمد فكرة قيام دولة إسـرائيل على أن اليهود عرق وشـعب واحد وقد عانوا من الاضـــطهاد وأنهم غير قابلين للإندماج مع الآخرين . وبصـــرف النظر عن مصـــداقية هذه الادعاءات فإنها تسير فى الاتجاه المعاكس للمسيرة الإنسانية ؛ كما أن العدل والمساواة والرفاهة والسلام ستكون أهدافاً لكل المجتمعات البشرية .

قيام إسرائيل فى أرض فلسطين جريمة ارتكبتها منظمة الأمم المتحدة على حساب الفلسطينيين والمسـلمين والعرب . أما توسـع إسـرائيل العدوانى بالدعم الغربى فهو جريمة أخرى بحسـابات أُخرى ، وسـيظل العالم كله يدفع الثمن حتى يزول هذا التوسـع ، ومن ثم تعود القضـية للمجتمع الدولى لتصحيح الأخطاء وستكون من المقدور عليها عندما يحين وقتها .

المسيحية الغربية

بفصـــلهم الدين عن الدولة ونهجهم العقلانية تقبلت المجتمعات المســيحية الغربية مواطنيهم اليهود ، وظهرت المفاهيم النسـبية والمنقوصــة للصـدق والحرية والعدل والمســاواة ... ، ويبدو الأثر السلبى لازدواجية التراث اليهودى .

فى هذه الظروف المواتية ، تمكن اليهود الأقدم حضـــارة والأكثر توحدا والأقوى تصـــميما والأوسع خبرة بطبائع البشر ، بلا حدود لأطماعهم ولا ضوابط لسلوكياتهم ، تمكنوا على قلتهم من الإمساك بأهم مقومات الحياة فى المجتمعات الغربية وتوجيهها بما يخدم مصالحهم ، خاصة بعد الانتصار فى الحرب المصيرية ضد هتلر .

ورط اليهود الغرب المسيحى ، خاصة أمريكا ، فى قهر واستغلال العرب والمسلمين . دفعت

أمريكا الثمن غالياً ، اهتزت قواعد الحضارة الغربية الهشة ، التى قال بعض مفكريها بنهاية التاريخ وصراع الحضارات . تبخرت الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان وكرامته ، ضاع العدل والمصداقية والعقلانية .. تسربلت قلعة الحرية والدولة العظمى بحزمة مواصفات الدُول الاستبدادية المتخلفة ، مما يدل على استنفاد قيم الحرية والعدل والمساواة المقيدة والمنقوصة وازدواجية المعايير لطاقاتها الإبداعية . ليس فى هذه الانتكاسة خير ولا مصلحة لإنسان يهمه تقدم المسيرة البشرية ، الخير والمصلحة فى تقوية القواعد الهشة للحضارة الغربية ، وإطلاقها من إيثار المصلحة الضيقة والانتقائية والازدواجية لتعم البشر أجمعين . قدم الغرب المسيحى للمسيرة البشرية ما يستطيع ، وآن للمسلمين أن يمدوا له يد العون .

ألا يحتاج بوش الابن للعون ؟؟!! بوش الذى صرح بعد أحداث سبتمبر بأنه سيعالج أسبابها الحقيقية وذلك برفع مظلمة الفلسطينيين ، لكن سرعان ماقهره وأسكته شارون بقوله : « لن تكون إسرائيل تشيكوسلوفاكيا » إشارة لاتفاقية ميونخ ١٩٣٨ ، والتى ضحى فيها الحلفاء بتشيكوسلوفاكيا .

المسلمون

جاء الإسلام فى القرن السابع الميلادى لإرساء قواعد دولة دستورية قانونية وتأسيس علمى، إجتماعى ، إقتصادى ، سياسى ، أخلاقى ، .. ؛ تعمل لصالح المسلمين والناس أجمعين ، بقابلية عالية للاستمرار وقيادة التطور .

لم يحتمل بعض المسلمين ما حسبوه بعض التجاوزات الإدارية والمالية فى عهد الخليفة عثمان . تصاعد النقد والاعتراض حتى خرج عن السيطرة . وبدلاً من العمل على تطوير النظام استغلها البعض لإلغاء النظام بالكامل . وصار ما كان من جهل وتخلف أخرجهم من تاريخ

الإنسانية الفاعل وصاروا كماً مهملاً فى أدراج النسيان ، حتى اسيقظوا على عالم خلاف ما ألفوا ، يجثم على صدورهم الحلف اليهودى المسيحى الغربى .

الأنظمة الاستبدادية الإسلامية : تبنت ، فى الغالب ، نظام الملك الوراثى الإستبددى والذى لا يمكن قيامه فى المجتمعات الإسلامية إلا بالقهر والسيطرة السياسية والاقتصادية والتخلى عن النظام الدستوري القانوني الذي يستمد شرعيته وإلزاميته من طاعة الله ورسوله وولى الأمر . كما تخلى عن الشورى والعدل والمساواة وحرية التفكير والتعبير وتعطلت الدراسات والعلوم الإسلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدستورية والقانونية .. . ، وبمرور الوقت وما تبعه من تطور فى كل مجالات الحياة خاصة العلمية فى المرحلة السادسة ، أدى إلى التباين الحاد بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم واستحال تحقيق الارتباط المتحرك المُتوازى المُفترض وتقويم الصراط ؛ واستحكم قانون وجدنا آباءنا يقولون ويفعلون وأسباب الخلاف والتخلف والنظم الاستبدادية ، وبذلك فقدت المجتمعات الإسلامية الأمن والسلام الداخلى والخارجى .

أحداث سبتمبر : بعد هزيمة الأنظمة العربية وخروجها من المعركة تولى الأفراد والجماعات السرية مهمة الدفاع عن الأمة باعتبارها فرض عين . تحت قسوة العدوان وجدوا من يفتى لهم بجواز كل شيء ضد المعتدى الإسرائيلي وأعوانه خاصة الأمريكان ، وأضاف البعض الحكام العرب . وكانت ضربة سبتمبر الموجعة وتخاذل بوش عن « رفع مظلمة الفلسطينيين » واستسلم بالكامل لغلاة الصهاينة . اتهام المقاتلين العرب بأنهم أعداء الحرية ، وقالوا بأن الإرهاب نتاج الدكتاتوريات الإسلامية والفكر الدينى ، وأن الديموقراطيات لا تتحارب وبذلك التفت دائرة العداء حول الجميع : الدين الإسلامى والشعوب الإسلامية والحكام العرب . وهكذا أصبح الحكام العرب على رأس قائمة الإرهابيين بعد أن كانوا أطفالهم المدللين على حساب شعوبهم المقهورة لسهولة التعامل معهم فى مسائل السياسة والنفط والحرب بما يخدم مصالح

الحلف اليهودى المسيحى الغربى . العلم والفكر والمبادئ والسياسة عند الحلف المسيحى اليهودى الغربى لخدمة المصالح ، خاصة الصهيونية.

و كانت الحرب على طالبان وبن لادن ثم صدام ودولته العراق ، لدعمه المقاتلين الفلسطينيين وإعلانه تقديم ٢٥ ألف دولار لأُسر بعض الشهداء الفلسطينيين .

لم تكن للمسلمين مصلحة فى الدكتاتوريات المحمية ولن تكن لهم مصلحة فى الديموقراطيات الجبرية وعليهم تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم والآخرين والمشاركة فى تلبية حاجة الإنسانية الملحة لتعميم العدل والحرية والمساواة والرفاهة والتقدم لكل الأفراد والمجتمعات الإنسانية ؛ وإقامة أنظمة حكم صالحة راشدة . وعلى العرب وعاء الإسلام وأهل اللغة يقع الجانب الأكبر من الجهد ؛ وليعلم حكام العرب بأننا فى نهايات هذه المرحلة من المسيرة البشرية بما فيها أنظمة الحكم التقليدية ، وأن ما ينتظرهم من تقدم ورفاهية فى المرحلة السابعة كمواطنين يفوق ما يأملون فيه لأنفسهم وأبنائهم كملوك وحاكمين وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ؛ وألا يرعوا إبل قومهم ولا خنازير غيرهم ؛ أن يكونوا مواطنين صالحين ومسلمين راشدين. وإذا قال بعضهم بأن تحملهم مسؤُولية الحكم ليست غنائم لهم ولأبنائهم ، إنما تضحيات من أجل شعوبهم !! فإن للبيت ربًا يحميه ، وآن الأوان لمواطنيهم أن يتحملوا المسؤولية .

الوضع الحالى والمُعالجات:

الإسراء﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ .

ـ إن مايحدث حالياً هو العلو الكبير والفساد الثانى لليهود .

ـــ قضى الرومان بعنف على فساد اليهود الأول فى الأرض المعاصر لرسالة رسول الله عيسى (ص) ، ومن علامات فسادهم الأول رفضهم بعنف وقسوة لرسالة عيسى (ص) .

ـ الكرة عليهم : سيطرة اليهود على المجتمعات الغربية الحالية ، أحفاد الرومان .

ـ وعد الآخرة : هو نهاية فسادهم الثانى .

ـــ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة : يدخله المسلمون سلمياً كما دخله عمر بن الخطاب بنظام إسلامى حقيقى .

ـ ليسوؤوا وجوهكم : ضربة وشيء من الخذلان وافتضاح أمرهم .

ـ ويتبروا ما علوا : تحطيم رموز العلو والفساد وأحسب أن منها الجدار العنصري الفاصل

ـــ عسى ربكم أن يرحمكم : قد يكون من ذلك إحسان المسلمون إليهم ، وإدماجهم فى المجتمع الإنسانى ومسيرته .

وإن عدتم عدنا : الاستعداد الدائم ، لاحتمال قيام محاولات الفساد الفاشلة مرات أُخرى .

هذا ما سيحدث بعون الله مع بدايات المرحلة السابعة فى المسيرة البشرية .

وصلت أو كادت حالة الاحتراب الخارجى والعراك الداخلى بين أصحاب الديانات السماوية الثلاثة نقطة الانقلاب . ارتفعت وتيرة التكلفة المادية والبشرية للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بما يهدد السلم والرفاهية والتطور الإنسانى ، وسيظل العالم كله يدفع و يعانى من هذا الاحتلال حتى تصفيته .

لم تعد التقنيات العالية فى الأسلحة حكرا على أحد ، كما ثبتت فعالية تحوير المعدات المدنية لأغراض قتالية ، وكلها فى طريقها للتطور والانتشار عند الأفراد والجماعات .

لا تسر انتكاسة الديموقراطيات الغربية إنسانًا يهمه تقدم المسيرة البشرية ومن مصلحة الجميع تقوية القواعد الهشة للحضارة الغربية وإطلاقها من إسار الهيمنة اليهودية والانتقائية والازدواجية لتعم مبادى الحرية والعدل والمساواة البشرية جمعاء

العمل الإنسانى الجماعى لنزع خوف اليهود وكسر هيمنتهم .

العمل الإسلامى الجماعى لإصلاح الفكر الإسلامى وأنظمة الحكم الإسلامية .

يمكن القول بأن كل الأديان والمبادى وأنظمة الحكم قابلة للتشويه والانحراف و الاستغلال لذلك من الأفضل وضع أسس الحكم والنظام والضوابط العملية والأخلاقية التى تحتاج لها كل المجتمعات كقاعدة موحدة للتعامل داخلياً ودولياً . وقد يكون الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ؛ والذى يمكن قبوله ـــ بقليل من الحذف والإضافة غير الجوهرية ـــ من كل المجتمعات كأساس مشترك فى نظم الحكم والتعامل الدولى . كما جاء فى كتابنا : «الحزب الإنسانى» والذى نأمل فى إصداره قريباً .

الطريق إلى المستقبل

على قدر توفر المعلومات عن : الأوضاع الحالية ، المرحلة السابعة ، القوانين التى تحكم المسيرة البشرية ؛ وبتحليل هذه المعلومات ووضع الافتراضات والنظريات .. بقدر ما تتضح معالم الطريق .

ولنبدأ بافتراضات عن المرحلة السابعة .

عن المرحلة السابعة :

تعم وتترسخ مبادئ العدل والحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان لكل المجتمعات . تتوفر المعلومات والأبحاث المتخصصة فى كل المجالات بما فيها الإسلامية . تأكد مبدأ التعاون

والتكامل الإنسانى بدلاً عن الصراع ، وأصبحت الحدود السياسية أقرب للحدود الإدارية .

تتزين الأرض بالإعمار والمعدات والزراعة ... ، كما تتزين الحقول بخضرة النبات ، وتتزخرف الأرض بالألوان والأنوار كما تتزخرف الحقول بالزهور والثمار .

هذا النظام والاستقرار والسلام سبقته وتصحبه اختراقات فى الطاقة والمياه والبيئة والصحة والمعدات ... ، وكذلك المعالجات أو التحكم فى المناخ والبراكين والزلازل والأمطار ...، .

المعلومات والوسائل والمعدات التى أمكن بها إحداث هذا التطور ستكون لها نفس القدرات التدميرية بيد الأفراد والجماعات الخارجة .

لن ينتهى الخلاف ولا الفساد ولا الظلم ولا الرغبة فى السيطرة ... عند الحاكمين والمحكومين ، وتحتاج المجتمعات إلى أنظمة قضاء سريعة الحسم شديدة الردع ، وسيكون قانون العقوبات الإسلامى من أقل أنظمة العقوبات صرامة .

الطريق :

الجانب الدينى والغيبيات فيه لا تتعارض مع الصدق وطلب الحقيقة ، كما لا تتعارض حتمية التطور مع إرادة الإنسان وقدراته العقلية وقابليته للتغيير .

يتطور الإنسان عضوياً وثقافياً وتنتقل الأفكار والمعدات عبر الزمان والمكان .

يؤدى الخلاف إلى الحراك العقلى والفكرى الدائم .

المسلمون :

انقلب حكام المسلمين على خلافتهم الراشدة واستباحوا الدين والأنفس والأموال ... وظهرت المفاهيم والمذاهب المختلفة كرد فعل غير محدد الاتجاه ولا القوى . عملوا على السيطرة والتحكم فى المسلمين واستغلالهم وطمس وتخريب عقولهم وأنفسهم حتى ألجمهم الجهل والظلم

والخوف ونسوا أن معالجة هذه الحالة : أن يقوموا لله مثنى وفرادى ثم يتفكروا ، ثم الشورى والحوار ، على أن ينعكس ذلك على رفع مستوى ارتباط الدين والتدين مع العلم والتعلم مما يرفع من مستوى استقامة الصراط ويؤدى إلى تغيير ما بالأنفس ، عندها يأذن الله سبحانه وتعالى بتغيير حالة القوم ـ إن شاء ـ .

***

الحلف اليهودى المسيحى الغربي :

تطورت المجتمعات السكانية إلى حضارات وإمبراطوريات ، وفى المرحلة السادسة نادى الحلف بتأسيس الدولة الوطنية التى تعمل لمصالحها حتى لو كانت على حساب الآخرين .

مع سلبيات الحلف إلا أنه حقق إنجازات كبرى كما دافع عن نفسه والبشرية فى الحربين العالميتين ، أخيراً ارتكب غلطته الكبرى بإقامة إسرائيل فى أرض فلسطين وما تبعها من كوارث يعم شرها البشرية جمعاء .

أحداث سبتمبر :

بدلاً من أن تبعث هزيمة ١٩٦٧م الحياة فى الفكر والأنظمة العربية أدت للمزيد من الاستبداد. كانت حرب ١٩٧٣م مفترق طرق ، فشلت محاولات عمل حلول مقبولة . أعاد اليهود ترتيب أوضاعهم بإعادة بعض الأراضى وإخراج دول المواجهة من الصراع وتفكيك الاتحاد السوفييتي ـ مصدر السلاح ـ .

لم يرض بذلك غلاة اليهود ولا المقاومة الإسلامية الشعبية .

جاءت أحداث سبتمبر بتخطيط وتنفيذ عربى فى رواية وتخطيط يهودى وتنفيذ عربى فى رواية أُخرى . يريد العرب أن يدفع الأمريكان ثمن مشاركتهم فى ظلمهم ، ويريد اليهود أن يدخلوا الخوف فى قلب حُلفائهم الأمريكان حتى يشكلوهم على هواهم ، وهو ما تحقق .

و بذلك وفى مفترق الطرق الثانى تغلب غلاة اليهود على الاتجاه العقلانى فى الإدارة الأمريكية الذى يراعى مصالحها الوطنية . فكانت أفغانستان والعراق .

من كل ذلك نخلص إلى أن العوامل المحركة لكل الأحداث هى : الجهل والظلم والخوف :

- جهل المسلمين بالدين والسياسة .
- جهل اليهود بما سيكون عليه مستقبل البشرية .
- جهل الغرب المسيحى بما يورطه فيه غلاة اليهود .
- ظلم الحكام العرب للشعوب العربية .
- ظلم غلاة اليهود للفلسطينيين والعرب والغرب المسيحى والصالحين من اليهود .
- خوف المواطنين العرب من الحكام العرب .
- خوف الحكام العرب من مواطنيهم ومن اليهود والمسيحيين الغربيين .
- خوف الغرب المسيحى من اليهود والمسلمين .
- خوف اليهود من الماضى والحاضر والمستقبل والناس أجمعين .
- خوف الجميع من التغيير .

المعالجات :

حاجة البشرية للقضاء على هذا الثالوث ، فى أى مجتمع إنسانى ، حاجة مصيرية ، سواء كان نظام الحكم إسلامى أو يهودى أو ديموقراطي أو استبدادى .

أول الخطوات فى إتجاه القضـــــاء على الجهل والظلم والخوف هى : المعلومـات عنهـا والإحســـاس بها ، ثم العمل على إزالتها ، وكل ذلك يحتاج لمســـتوى عالٍ من حريات التفكير والتعبير والنشر والدعوة .

إن هذه الحريات المقيدة بالصدق والحق واتباع المناهج والروح والأخلاق العلمية هى من أهم مقاصــد ووســائل الدين الإســلامى الحقيقى ، وكذلك نجدها فى الجانب الإيجابى والإنســانى فى الديموقراطيات الغربية .

لذلك يمكن القول بأن تأمين هذه الحريات بما يؤدى لإصــلاح أنظمة الحكم أو تغييرها يشــكل الحد الأدنى لبقاء الأنظمة ، وإلا تُصنف بأنها عدو للإنسانية .

الخاتمة

من القرآن والتاريخ تعرفنا على المراحل الســابقة للمســيرة الإنســانية حتى نهايات المرحلة السادسة .

حققت الإنسانية بقيادة الحلف المسيحى اليهودى الغربى إنجازات دفعت بالمسيرة لمستويات عالية فى زمن قياسى مع سلبيات وتناقضات تتنامى لتصبح عقبة يتحتم تجوزها .

يصـــاحب عجلة التطور العلمى والتقنى المتســـارعة تغيرات فى كل مناحى الحياة وفى كل مكان مما يؤدى لرفض الواقع ومحاولة التغيير بكل الوسائل .

يُفترض أن يُحفز الصراع الدائر بين اليهودية والمسيحية والإسلام المفكرين والعلماء للبحث عن حلول تلتزم العدل ونزع خوف اليهود وكســر هيمنتهم لمصـــلحة اليهود والناس أجمعين . وعلى المســلمين اعتماد القرآن كمعجزة ومرجعية وطاعة رســولهم محمد ^ وبذلك يمكن نزع قدسـية العلماء وكسـر سـيطرة الحاكمين . وتتوفر الضـغوط لتليين : مواقف الصـهاينة وغلاة اليهود مع حلفائهم وأعدائهم وحكام العرب مع مواطنيهم .

لا يفصــلنا الكثير عن المرحلة الســابعة التي بشــر بها القرآن ورســم خطوطها العريضــة ووضـــع القوانين والمبادئ الإنســـانية التى تقود إليها وتتناســـب معها ، والتعامل مع كوكب الأرض كوحدة جغرافية والإنســان كوحدة سـكانية ، والتطور المتســارع رأسـياً وأُفقياً هو قدر الإنسانية فى المرحلة التالية .

يعلم حكام المسلمين أن أمر الله حتماً مقضيا وعلى الصهاينة الرجوع إلى صوابهم وعقلائهم ، والرجوع إلى خارطة تقسيم الأمم المتحدة لفلسطين ١٩٤٧ م ، أو خير من ذلك : قيام دولة نموذجية موحدة للتعايش الإنسانى السلمى للجميع فى فلسطين ، وذلك لتسهيل الانتقال للمرحلة السابعة وأن يكون بمشاركة إرادة إنسانية مُدرِكة وفاعلة لتشكيل العالم الذى نريد ، بمقتضى الأمانة والاستخلاف ، بعون الله تعالى .

و يعم السلام

وشعار العالم السلام عليكم

وتحية العالم السلام عليكم

والسلام عليكم

كمال يوسف جميل

الفهرس

